أركـان للدراسات والأبحاث والنشر
Arkan for Studies Research and Publishing

الاستراتيجيات الإسرائيلية في جنوب القوقاز

إعداد
براق تشاليشقان

ترجمة
إسراء محمد

مراجعة الترجمة
ماشتة أونالمش

تمهيد:

سبّبتْ زيادة النفوذَين الروسي والإيراني في المنطقة من خلال سوريا وأحداث الربيع العربي انزعاجًا لإسرائيل، لذا تحاول إدارة تل أبيب زيادة نفوذها في جنوب القوقاز كرد فعل جيوسياسي على هذا الوضع، ورغم محاولة تقديم العلاقات الإسرائيلية الأذرية الوثيقة على أنها رد فعل للتحالف الإيراني الأرميني إلا أن وجود تل أبيب في المنطقة مرتبط ارتباطًا وثيقًا بتركيا؛ لهذا جذبت مساعي إسرائيل في المنطقة اهتمام كلٍ من تركيا وروسيا وإيران، وهي دولٌ لها علاقات تاريخية وثيقة مع جنوب القوقاز.

بداية العلاقات الإسرائيلية الأذربيجانية وحرب قره باغ:

تُعدُّ إسرائيل واحدة من أوائل الدول التي اعترفت باستقلال أذربيجان؛ حيث تأسست العلاقات الدبلوماسية بين البلدين عام ١٩٩٢ وافتتحت إسرائيل سفارتها في باكو في فبراير ١٩٩٣، ولم تحاول الحكومة الأذربيجانية فتح سفارة أو قنصلية لها في إسرائيل على الرغم من أنها لديها رغبة في الرد على تلك الخطوة؛ حتى لا تتلقى انتقادات من العالم الإسلامي.

بدأت باكو النظر لتطوير علاقتها الاستراتيجية مع إسرائيل بالتزامن مع حرب مرتفعات قره باغ التي حمي وطيسها بعد استقلال أذربيجان، وكانت أرمينيا – التي تلقت دعمًا واضحًا من إيران واللوبي الأرمني الموجود في روسيا وأمريكا – احتلت مرتفعات قره باغ والمناطق السبعة المحيطة بها، وقتلت ونفت الأتراك الأذربيجانيين الموجودين في المناطق المحتلة وفي مقدمتها منطقة (خوجالي)، وقدمت روسيا في تلك المرحلة طائرات حربية وأنظمة صاروخية بقيمة مليارات الدولارات للعاصمية الأرمينية يريفان، أما إيران فدعمت أرمينيا من خلال المساعدات النفطية والبترولية.

وتسبب احتلال أرمينيا للأراضي الأذربيجانية في قطع العلاقات التركية بباكو ودول وسط آسيا المرتبطة بباكو، وفي تلك الفترة حُرمت تركيا من مصادر الطاقة في بحر قزوين ومن التكامل السياسي والاقتصادي الذي كان بإمكانها تحقيقه مع وسط آسيا، وكما حدَّ هذا الوضع من مجال نفوذ أنقرة فقد عاق الوحدة الجغرافية للعالم الإسلامي أيضًا، أما فيما يتعلق بالجغرافيا السياسية الإقليمية فكان من الواضح أن هذه المبادرة الأرمينية كانت تحظى أساسًا بدعم من روسيا وإيران إلا أنه كانت ثمة العديد من الجهات – التي أرادت التأثير على المنطقة – راضية عن هذا الاحتلال.

وتجدر بنا الإشارة في هذه النقطة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية التي يقطنها عدد كبير من الأرمن، وإسرائيل التي تملك تطلعات مستقبلية في المنطقة؛ قد وجدتا الأزمة في صالحهما.

---

* هذه الدراسة صادرة عن مركز البحوث الإنسانية والاجتماعية İNSAMER، ومنشورة بموقعه الإلكتروني بتاريخ: ١٢ ديسمبر ٢٠١٨، تحت عنوان: İsrail'in Güney Kafkasya Stratejisi، على الرابط: https://bit.ly/2oMwkN1.

وفي الواقع خططت إسرائيل أن توفر لنفسها مميزات كبيرة من خلال التقرب لأذربيجان التي تمتلك مشاكل مع جيرانها وتحتاج للدعم، حتى إنه ظهرت ادعاءات حول قيام إسرائيل بإرسال شتى أنواع الأسلحة والأنظمة الصاروخية لأذربيجان في عام ١٩٩٢، وإلى جانب هذا قام رجال أعمال إسرائيليون منذ الفترة الأولى باستثمارات في المناطق الاستراتيجية الأذربيجانية، وفي وقت قصير أصبحت الشركات الإسرائيلية مؤثرة جدًا في مجالات عدّة، مثل: الاتصالات، والاتصالات اللاسلكية، والإعلام، والخطوط الجوية في البلاد[٢].

اليهود في أذربيجان:

يُقدِّم اليهود في أذربيجان مساهمات مهمة لتطوير العلاقات الثنائية مع إسرائيل، ويعتبر اليهود – الذين عاشوا في أذربيجان لعدة قرون – عنصرًا مهمًّا في العلاقات الثنائية؛ لأنهم لم يواجهوا نهجًا معادٍ للسامية لا قبل الاستقلال ولا بعده، وحصلوا على حقوقهم كاملة باعتبارهم مواطنين في البلاد، ومن المعروف أن إسرائيل على اتصال وثيق مع هؤلاء اليهود؛ حيث يعمل هؤلاء اليهود الذين يملكون منظمات مجتمع مدني وصحف ومدارس ومؤسسات دينية في أذربيجان على نشر فكرة أن إسرائيل صديقة لأذربيجان من خلال هذه المنظمات والأنشطة الإعلامية.

وبهذا الشكل حصل اليهود الأذربيجانيون – خاصةً المهتمين بقضية مرتفعات قره باغ – على تعاطف الأتراك الأذربيجانيين لكونهم شعبًا قوميًّا، بالإضافة إلى ظهور الصحفيين والخبراء السياسيين الإسرائيليين ضيوفًا على التلفاز وفي الصحف الأذربيجانية بدعم مالي من اللوبي اليهودي؛ وقاموا بتحليل التطورات في العلاقات الدولية وتفسيرها بما يتوافق مع مصالح إسرائيل، لدرجة أن قوة وسائل الإعلام الإسرائيلية في أذربيجان وسّعت فعالياتها وتقدمت على وسائل الإعلام المدعومة من تركيا وروسيا وإيران.

أذربيجان والقضية الفلسطينية:

قتلت إسرائيل مئات الآلاف من المسلمين في فلسطين المحتلة وهجّرت الملايين من أراضيهم، وعلى العكس من سياسة التسامح التي عامل بها الأذربيجانيون اليهود لعدة قرون، فقد واصلت إسرائيل سياستها هذه تجاه الفلسطينيين بالطريقة نفسها منذ تأسسها.

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن أذربيجان تنتقد سياسات إسرائيل تجاه فلسطين في الاجتماعات الدولية، كما أنها تدافع أيضًا عن حل إقامة دولتين في فلسطين، ومع ذلك وعلى الرغم من إعلان باكو دعمها لفلسطين بشكل صريح، فإن هذا لم يضر بالعلاقات الثنائية بين أذربيجان وإسرائيل؛ حيث ظلَّ دعم أذربيجان لفلسطين مقتصرًا على مستوى الخطابات ولم يحظ بأهمية كبرى للمصالح الإسرائيلية ولم يتعارض معها، علاوة على أن الإدارة الإسرائيلية تستغل علاقاتها الوثيقة بأذربيجان في تغيير صورتها المعادية للإسلام الموجودة في الرأي العام العالمي.

2 Kerimoğlu, Yavuz., "Azerbaycan'da İsrail Algısı ve Etkisi", İNSAMER, Mayıs 2017, (https://bit.ly/2rclInP).

الترويج للوبي الصهيوني:

تملك الجالية الأرمنية – التي لديها تأثير قوي في الولايات المتحدة الأمريكية – القدرة على الضغط على صانعي القرار الأمريكيين في السياسات الواجب اتباعها مع أذربيجان، فعلى الرغم من أن الشعب الأذربيجاني قد تعرَّض لمذابح الأرمن في حرب قره باغ عام ١٩٩٢، فقد حظرت الولايات المتحدة تقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية إلى باكو، محمَّلة بذلك أذربيجان مسئولية تلك الحرب، وقامت الجالية الأرمينية لاحقًا بمنع العلاقات الإيجابية التي تسعى أذربيجان لتطويرها مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي هذه النقطة تمكَّن السياسيون الإسرائيليون من أن يوصلوا إلى باكو فكرة قدرة اللوبي الصهيوني على منع التصور السيئ الذي تتبعه الجالية الأرمنية في أمريكا ضد أذربيجان، وفي الواقع تعتقد أذربيجان أيضًا أن اللوبي الصهيوني حليف مهم لها مقابل الجالية الأرمينية، ولذا تحاول حكومة باكو الحصول على نقاط قوة ضد الجالية الأرمينية ورفع مكانتها في واشنطن من خلال النقاش المفتوح مع اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية[٣].

بمعنى أن النشاطات الإسرائيلية واللوبي الصهيوني – التي تُعدَّ فعَّالة في سياسة أذربيجان الخارجية – حاولوا توجيه السياسة الخارجية للبلاد منذ استقلالها؛ حيث يتباحث مسئولو الحكومة الأذربيجانية حول بعض الأهداف المحددة مع لجنة الشئون العامة الأمريكية الإسرائيلية **AIPAC**[٤] والتي تُعد أهم منظمة للوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية، ومع ذلك وعلى الرغم من وعد أيباك لباكو بكسر نفوذ الجالية الأرمنية المعادية لأذربيجان، فإن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لم تتخذ أي خطوات ملموسة حتى الآن بشأن حظر بيع الأسلحة أو العقوبات الأخرى المفروضة على أذربيجان منذ ٢٥ عامًا، وما يزال يُنظر لأيباك في الولايات المتحدة على أنها مؤسسة صديقة لأذربيجان وما زالت تحتفظ بثقلها في السياسة الأذربيجانية.

أهمية الطاقة في العلاقات الثنائية:

واحدة من أهم العناصر في سياسة إسرائيل مع أذربيجان هي توفير الطاقة، فإسرائيل التي تعاني من صعوبات في الوصول للنفط والغاز الطبيعي بسبب علاقاتها مع جيرانها تعتبر أذربيجان موردًا مهمًّا لها في هذا الموضوع، وفي الواقع تنقل شركات النفط الأذربيجانية النفط بالصهاريج إلى إسرائيل منذ عام ١٩٩٢[٥]،

3 İsmayil, Elnur., "Israel and Azerbaijan: The Evolution of a Strategic Partnership", Israel Journal of Foreign Affairs, VII: 1, 2013, s. 71.

٤ هي أقوى جمعيات الضغط على أعضاء الكونجرس الأمريكي، تهدف لتحقيق الدعم الأمريكي لإسرائيل، ولا تقتصر أيباك على اليهود بل يوجد بها أعضاء ديموقراطيون وجمهوريون (المترجم).

5 Göksel, Oğuzhan., "Beyond Countering Iran: A Political Economy of Azerbaijan-Israel Relations", British Journal of Middle Eastern Studies, 2015, 42:4, s. 664-665.

ووفرت أذربيجان ٢٤٪ من واردات إسرائيل من النفط عام ٢٠١٦، ووصلت هذه النسبة في بعض السنوات إلى ٤٠٪.

سنغافورة	١٢٪	روسيا	٥,٣٪	إنجلترا	٣٠٪
كازاخستان	٧,٨٪	أذربيجان	٢٤٪	سويسرا	١٨٪

جدول ١: الدول التي استوردت إسرائيل منها النفط (٢٠١٦)[٦]

وتواصل إسرائيل الحفر في شرق البحر الأبيض المتوسط عقب اكتشافها مؤخرًا حقول الغاز الغنية في المياه الإقليمية للأراضي الفلسطينية التي تحتلها، وفي ٢٠١٢ دخلت شركة النفط الحكومية الأذربيجانية في عمليات الحفر في منطقة أشدود المثيرة للجدل في المنطقة، وبدأت في تنفيذ أول مشروع لها خارج بحر القزوين مع حصولها على حصة بنسبة ٥٪[٧].

وعلى الرغم من أن إسرائيل ما تزال بحاجة إلى النفط والغاز الطبيعي – رغم جهودها في شرق المتوسط – تمكَّنت من تلبية ٧٠٪ من إنتاجها للكهرباء في عام ٢٠١٨ من خلال الغاز الطبيعي الذي تستخرجه، وهدف إسرائيل الأهم في هذا الموضوع أن تصبح موردًا لا مستوردًا للطاقة، وتُظهر الأبحاث أنها تستطيع الوصول لهذا الهدف في وقتٍ قصير.

وفي هذه النقطة أوضح عدد من الباحثين في العلاقات الأذربيجانية الإسرائيلية أن العلاقات الثنائية تعتمد على مبدأ الاعتماد المتبادل في صناعة النفط والدفاع؛ وبما أن إسرائيل ستصبح قادرة على أن تصبح مصدرًا للطاقة في المدى القريب فإن ذلك سيقضي على حاجتها في الاعتماد على باكو في مجال الطاقة، وفي هذه الحالة ستكون الأولوية لمصلحة إسرائيل وليست للمصالح المشتركة في العلاقات الثنائية، مما سيضغط على أذربيجان في سياساتها الداخلية والخارجية.

تزويد أذربيجان بالسلاح:

بالتزامن مع العديد من التغييرات في الموازين السياسية العالمية واعتبارًا من عام ٢٠٠٩ أُجريت العديد من الزيارات رفيعة المستوى بين أذربيجان وإسرائيل، ومع ذلك تريد إدارة باكو التكتم على العلاقات الثنائية

٦ المصدر: OEC

7 Abbasov, Shahin., "Azerbaijan: SOCAR to Use Israeli Oil Field as Proving Ground", Eurasianet, Mayıs 2012.

نتيجة الانتقادات، وعلينا هنا أن نشير إلى الخطاب الذي سُرِّب للصحافة لرئيس أذربيجان «إلهام علييف» الذي ذكر فيه أن معظم العلاقات الإسرائيلية الأذربيجانية علاقاتٌ سرية[٨].

وتُعد تجارة السلاح واحدة من الأمور الرئيسية التي وردت في خطاب «علييف»، فعلى الرغم من أن روسيا تزود أذربيجان بالسلاح بسبب علاقاتها الوثيقة بأرمينيا واستراتيجيتها في جنوب القوقاز؛ فإن روسيا لا توفر مخزونًا يمكنه تغيير التوازن في المنطقة. بمعنى آخر، فعلى الرغم من أن موسكو توفر السلاح لأرمينيا وأذربيجان، فإن موسكو تمنح أسلحة لأرمينيا أكثر حداثة وتفوقا، أما الولايات المتحدة الأمريكية فإنها لا تقوم بتزويد باكو بأي أسلحة بسبب ضغط اللوبي الأرميني. وبالمثل تمتنع الدول الأوروبية أيضا عن تزويد أذربيجان بالأسلحة بدعوى الخوف من تأجيج حرب جديدة في مرتفعات قره باغ[٩]، وهكذا تعتبر تركيا واحدة من أكبر موردي السلاح لأذربيجان بعد إعلان استقلالها حيث وفرت كميات كبيرة من الأسلحة والمعدات العسكرية للبلاد، كما تلبي إسرائيل قسمًا كبيرًا من حاجة أذربيجان للسلاح.

الدولة	٢٠١٧	٢٠١٦	٢٠١٥	٢٠١٤	٢٠١٣	٢٠١٢	٢٠١١	٢٠١٠	٢٠٠٩	٢٠٠٨	٢٠٠٧	٢٠١٧	المجموع
بيلاروسيا		١٥٧					٣٢	٣٧	٥١	٩	٢٧	١	١٥٧
جمهورية التشيك		٣	٣										٣
إسرائيل		٥٨٥	١٣٧	٢٤٨	١٢١	٢١	٢٥	٩	٥	٩	٨	٢	٥٨٥
روسيا	٦٨	٢,١٥٨	١٢٨	٧	٢١٠	٥٧٠	٣٢٥	٢٥٦	٤٧٧	٩٧	٢	١٨	٢,١٥٨
سلوفاكيا		١٢	١٢										١٢
جنوب إفريقيا		٢٩			١	٣	٢	١٠	٣	٦	٤		٢٩
تركيا		٧٨		١٦	٩	١٧	٥	٢٠	٧	٤			٧٨
أوكرانيا	١٤٥	٣٢٣					١٥	٦	١٤	٢٩	١٠٣	١٢	٣٢٣
أمريكا		٥				١		٢	١	١			٥
المجموع	٢١٣	٣,٣٤٩	٢٧٩	٢٧٢	٣٤٠	٦١٢	٤٠٤	٣٣٩	٥٥٧	١٥٥	١٤٥	٣٣	٣,٣٤٩

جدول ٢: قيمة الأسلحة التي تستوردها أذربيجان (مليون دولار)

8 "Azerbaycan İsrail'e Hava Üssü Verdi", Milliyet, Mart 2012.

9 İsmayıl, Elnur., "Azerbaycan-İsrail Stratejik Ortaklığı", Ocak 2013, **BİLGESAM**, (https://bit.ly/2o4ERdA).

في حين زُعِم أن إسرائيل توفر أسلحة استراتيجية لأذربيجان منذ السنوات الأولى لاستقلالها، شهد عام ٢٠١٢ نقطة تحول في تلك القضية؛ فأذربيجان التي رفعت ميزانيتها الدفاعية وقّعت اتفاقية أسلحة مع إسرائيل بقيمة ١,٦ مليار دولار، ويتكون جزءٌ مهم من هذه الصفقة من طائرات بدون طيار ورادارات وأجهزة أقمار صناعية.

وأدى الاشتباك الأرمني الأذربيجاني الذي وقع في أبريل ٢٠١٦ إلى كسر باكو لخط الدفاع الأرمني والاستيلاء على بعض المراكز الاستراتيجية، وهذا النجاح – الذي تحقق نتيجة استخدام الطائرات بدون طيار وغيرها من الأسلحة الحديثة المستوردة من إسرائيل – قد زاد أهمية العلاقة مع إسرائيل بالنسبة لأذربيجان، وأعلن «إلهام علييف» في العام نفسه عن توقيعه اتفاقية سلاح وأمن طويلة المدى مع إسرائيل بقيمة ٥ مليارات دولار.

وفقًا لبيانات معهد ستوكهولم الدولي لبحوث السلام المذكورة أعلاه، فإسرائيل هي الدولة التي استوردت منها أذربيجان أكثر الأسلحة منذ عام ٢٠١٥، وبدءًا من عام ٢٠٠٧ تعتبر إسرائيل الدولة الأكثر تصديرًا للأسلحة إلى أذربيجان بعد روسيا خلال ١٠ سنوات، وعند الأخذ بعين الاعتبار سرية القسم الأكبر من بيانات الاتفاقيات الأمنية بين الدول؛ يمكن القول بوضوح أن لإسرائيل مكانة مهمة جدًّا في توريد الأسلحة لأذربيجان، وفي الواقع ووفقًا لبيانات معهد ستوكهولم الدولي لبحوث السلام فإنه في فترة ما بعد ٢٠١٢، فإن أذربيجان هي الدولة الثانية الأكثر استيرادا للأسلحة الإسرائيلية بعد الهند.

وتنعكس العلاقات المتطورة بين أذربيجان وإسرائيل تمامًا في أرمينيا؛ إذ يزيد فيها العداء تجاه إسرائيل، فإلى جانب انزعاج أرمينيا، فإن جميع الجهات الفاعلة – باستثناء أمريكا – تشعر أيضًا بعدم الراحة من التقارب الإسرائيلي الأذربيجاني.

إيران:

يزعم العديد من الباحثين في العلاقات الإسرائيلية الأذربيجانية أن الدولتين الحليفتين تعتبران إيران تهديدًا وجوديًا، وينبع هذا الادّعاء من العلاقات الإشكالية لإيران مع كل من إسرائيل وأذربيجان، وفي هذا الصدد تهدف حكومة طهران إلى تحقيق ثورة إسلامية في أذربيجان بعد إعلانها الاستقلال، وحاولت خلق حالة من عدم الاستقرار في البلاد من خلال إقامة فعاليات بواسطة مجموعات قريبة منها، وتعتبر إيران الوجود الأذربيجاني مهددًا لها منذ البداية بسبب وجود جالية أذربيجانية كبيرة تبلغ نحو ٢٥ : ٣٠ مليون تركي أذربيجاني في إيران. ولهذا السبب أيضًا تسببت محاولات إيران إقامة أنشطة للمذهب الشيعي في أذربيجان ومحاولاتها توجيه سياسة باكو الخارجية، في انزعاج كبير للحكومة، كما أثار دعم طهران للأرمن بشكل مباشر في الحرب بين أذربيجان وأرمينيا ردة فعل كبيرة من الشعب الأذربيجاني.

لكن باكو فضَّلت منذ البداية إقامة تحالفٍ مع تركيا العلمانية – التي تنتسب للعرق نفسه – بدلًا من التقارب مع إيران سياسيًّا ودينيًّا، وتمكنت باكو في وقت قصير من جعل فكرة الاتحاد مع تركيا في مقدمة اهتماماتها من خلال الخطاب القومي التركي، كما طُرحت فكرة الاتحاد مع شمال إيران التي يُطلق عليها (أذربيجان الجنوبية)، وعلى الرغم من أن «حيدر علييف» خلف الرئيس «إلجي بيك» – الذي كانت لديه سياسة أكثر توازنًا بشأن هذه القضية – فقد هيمن على أذربيجان آنذاك الخطاب القومي التركي القائم على أساس عرقي بدلًا من الاتحاد الطائفي الذي تهدف إليه إيران، مما مثَّل تهديدًا كبيرًا لإيران. ومع ذلك، يُشكِّل تقارب إسرائيل – التي تعد عدوة لإيران – مع أذربيجان تهديدًا آخر لطهران، فقد أدى الادّعاء بأن إسرائيل ستهاجم المنشآت النووية الإيرانية من خلال أذربيجان – وخصوصًا عندما برزت الأنشطة النووية الإيرانية على ساحة السياسة الدولية عام ٢٠١٢ – إلى توتر العلاقات بين باكو وطهران.

وزعمت وسائل الصحافة الغربية كثيرًا في هذه الفترة أن حكومة باكو خصصت قواعد عسكرية لإسرائيل ضد إيران، كما ذكرت وسائل الإعلام الإيرانية أن جهاز الموساد شارك في أنشطة استخباراتية في أذربيجان، وأنه استمع وراقب إلكترونيا (تجسس) أيضا على حدود إيران مع بحر قزوين[١٠]، وعلى الرغم من أن أذربيجان أنكرت هذه المزاعم بشدة فإن مخاوف طهران لم تتبدد.

أصدرت طهران مذكرة دبلوماسية ضد باكو تتهمها فيها بالتعاون مع الموساد في العديد من الأنشطة الجاسوسية التي تنفذها إسرائيل ضد إيران، مثل اغتيال العالم النووي «مصطفى أحمدي روشان» بالإضافة إلى أنه وفي العام نفسه، قامت إيران باستدعاء السفير الأذربيجاني في طهران عقب ازدياد حجم تجارة الأسلحة بين إسرائيل وأذربيجان وأبلغته بانزعاجها من هذا الوضع، وردًا على ذلك ألقت حكومة باكو القبض على ٢٢ مواطنًا أذربيجانيًا بتهمة التجسس لصالح إيران وخيانة أذربيجان والإعداد لهجوم يستهدف سفارتي أمريكا وإسرائيل[١١].

وبالمثل زعمت السلطات الإيرانية عام ٢٠١٤ أنها أسقطت طائرة إسرائيلية بدون طيار خرجت من منطقة ناخجيفان[١٢] أثناء مراقبتها لمنشآت تخصيب اليورانيوم في إيران، ووجهت وسائل الإعلام الإيرانية اتهامات حادة لأذربيجان في هذه القضية.

وبشكل عام تتهم إيران أذربيجان بالتعاون مع اليهود، بينما تتهم أذربيجان إيران بدعم الأرمن المسيحيين مما تسبب في مقتل آلاف المسلمين، بالإضافة إلى أن باكو تدافع عن كون علاقتها مع إسرائيل لا تستهدف أي دولة، بينما تفسّر باكو أن دعم إيران لأرمينيا سيؤدي حتمًا إلى مجزرة إسلامية؛ بمعنى أن حكومة أذربيجان تسعى للحصول على دعم من إسرائيل لمواجهة التحالف الإيراني الأرمني.

---

10 Vatanka, Alex., “Tangle in the Caucasus”, Foreign Affairs, Ocak 2013.

11 İsmayıl, Elnur., “Azerbaycan-İsrail Stratejik Ortaklığı”, Op.cit.

١٢ إقليم ذاتي الحكم في أذربيجان يقع غرب العاصمة باكو.

روسيا:

اكتسبت العلاقات الروسية الإسرائيلية بعدًا استراتيجيًّا بمجيء الرئيس «فلاديمير بوتن»، ولكن في الآونة الأخيرة، واجهت إسرائيل وأمريكا تهديدات كبيرة نتيجة ازدياد نفوذ موسكو في الشرق الأوسط من خلال الحرب السورية، وخصوصًا في سبتمبر الماضي؛ حيث سقطت طائرة روسية في سوريا نتيجة مناورات لطائرات إسرائيلية، وفي أعقاب تلك الأزمة قامت موسكو بتسليم أنظمة إس ٣٠٠ لسوريا، والتي كان نظام الأسد يطلبها من موسكو لسنوات طويلة وتأخرت نتيجة اعتراض إسرائيل وأمريكا، واعتبر ذلك بمثابة تهديد كبير لإسرائيل.

وعلى الرغم من أن أنظمة إس ٤٠٠ كانت قد تمركزت في القواعد الروسية العسكرية في سوريا في إثر أزمة الطائرة التي حدثت بين موسكو وتركيا، فقد كان الجنود الروس هم المتحكمون فيها، لكن هذه المرة مُنحت أنظمة إس ٣٠٠ لنظام الأسد بشكل مباشر وهو الأمر الذي لم يسبق له الحصول، وتعني هذه الخطوة إنهاء سيطرة إسرائيل الجوية على سوريا.

اعتبرت إسرائيل هذه المبادرة الروسية أزمة أمنية كبيرة بالنسبة لها، ولذا سُلّط الضوء على منطقة جنوب القوقاز كرد فعل جيوسياسي على موسكو، ففي الشهر نفسه زار وزير الدفاع الإسرائيلي «ليبرمان» أذربيجان وجورجيا، وبهذا تكون هذه هي المرة الأولى التي يزور فيها وزير دفاع إسرائيلي جورجيا، وأعادت إسرائيل في هذه الزيارة فتح قضية توريد الأسلحة الاستراتيجية لجورجيا التي كانت في الواقع ضمن خطط المحادثات عدة مرات من قبل ولكنها كانت تتأجل بسبب المفاوضات بين روسيا وإسرائيل[١٣]، وأراد «ليبرمان» بهذا أن يظهر أنه يستطيع الرد جيوسياسيًّا على موسكو من خلال إظهار أن بيع الطائرات بدون طيار التي طلبتها جورجيا منذ مدة طويلة قد تكون على جدول الأعمال في أقرب وقت، وليس من المعروف كم ستواصل روسيا هذا في ظل امتلاكها علاقات جيدة مع إسرائيل وإيران، فقد تضطر موسكو لترجيح أحد الأطراف في أي حدث قد يقع في المستقبل القريب.

وواحدة من القضايا التي يجب الانتباه لها في العلاقات بين موسكو وتل أبيب هي اللوبي الصهيوني في روسيا، فهذا المجتمع الذي يتمتع بمكانة مهمة للغاية في البلاد يمنح الأولوية – بالطبع – للتعاون مع إسرائيل، وتهدف إسرائيل بشكل عام إلى أن تكون لها الغلبة في المساومة لا أن تخلق أزمة مع موسكو؛ أي أن إسرائيل ستعطي أولوية للمصالحة مع روسيا أثناء ردها على زيادة نفوذها في الشرق الأوسط من خلال جنوب القوقاز.

لكن في شهر نوفمبر تعالت الادّعاءات بأن الصواريخ التي استخدمتها فلسطين للرد على الهجمات الإسرائيلية على غزة كانت روسية الصنع – والتي قد تسببت في انهيار نظام الدفاع الجوي الإسرائيلي

13 İsmayilov, Sevil Nuriyeva., "İsrail'in Güney Kafkasya Çıkarları," *Star*, Ekim 2018. (https://bit.ly/2moNPlw).

المسمى بالقبة الحديدية الذي ادعت إسرائيل أنه آمن تمامًا، مما دفع وزير الدفاع الإسرائيلي «ليبرمان» صاحب الحملات في جنوب القوقاز إلى تقديم استقالته - فكانت لهذه الأحداث القدرة على إحداث أزمات كبرى بين إسرائيل وروسيا في الفترة المقبلة.

تركيا:

تعتبر تركيا الداعم الأهم لأذربيجان منذ استقلالها، فكلا الدولتين أخوة في العرق واللغة والدين لذا تدعم كل دولة منهما سياسة الدولة الأخرى في جميع المؤسسات الدولية، كما قدمت أنقرة دعمًا غير مشروط لباكو في حرب مرتفعات قره باغ وفرضت حظرًا على يريفان من خلال إغلاق حدود أرمينيا مع أذربيجان وما يزال هذا الحصار مستمرًا حتى الآن.

وساعدت تركيا - التي كانت لديها علاقات جيدة جدًّا مع إسرائيل منذ عام ١٩٩٠ - في التقارب بين تل أبيب وباكو، لكن بعد عام ٢٠٠٢ فإن كلا من التغيير في السياسة الخارجية التركية وزيادة تفاعل الشعب التركي مع الشرق الأوسط قد غيّر التصور الموجود في تركيا عن إسرائيل، وتدهورت العلاقات بين تركيا وإسرائيل بسبب حدث «الدقيقة الواحدة» الذي قام به رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان في اجتماع دافوس الذي عقد عام ٢٠٠٩ وحادثة سفينة مرمرة الزرقاء عام ٢٠١٠، ولكن العلاقات بين أذربيجان وإسرائيل استمرت في التطور بشكل مستقل عن تركيا على الرغم من تدهور العلاقات بين أنقرة وتل أبيب.

تمكنت تركيا من تحقيق خطوات مهمة في وقت قصير من خلال زيادة إنتاجها المحلي في صناعة الدفاع (الأسلحة) في أعقاب تدهور علاقتها مع إسرائيل، وهكذا فقدت إسرائيل تركيا التي تعد واحدة من أكبر الأسواق لتجارة الأسلحة بالنسبة لإسرائيل، وتحاول إسرائيل منذ عام ٢٠١٢ أن تسد العجز الوارد من تركيا عن طريق التقارب أكثر مع أذربيجان.

وخلال هذه الفترة، قامت وسائل الإعلام الغربية والإيرانية بالادعاء مرارًا وتكرارًا أن إسرائيل تقوم بأنشطة استخباراتية في أذربيجان وهذه الادعاءات لا تهم إيران فحسب بل تهم تركيا أيضًا، لا سيما مع الادِّعاء في عام ٢٠١٤ بأن الطائرة الإسرائيلية بدون طيار التي أُسقطت في إيران كانت قد خرجت من ناخجيفان، بالإضافة إلى أن قيام سفير إسرائيل في أذربيجان بزيارة ناخجيفان في أكتوبر الماضي وحديثه حول المشاريع الزراعية في المنطقة يثير الاهتمام حول الأجندة السرية لتل أبيب في المنطقة، وتتابع تركيا هذا الموضوع عن كثب وتهتم بالخطوات التي تُتخذ في المنطقة بسبب التزامها بأن تكون الضامن في قضية حماية ناخجيفان من أي تهديد عسكري بموجب معاهدة كارس التي وقّعت عليها تركيا عام ١٩٢١.

خاتمة:

على الرغم من أن باكو تنتظر دعمًا من إسرائيل ضد إيران وأرمينيا خاصةً في قضية مرتفعات قره باغ، فقد تواجه باكو مشاكل كبيرة في كل من السياسة الداخلية والخارجية في الفترة المقبلة، فكما أنه من المرجح أن تنزعج كلا من تركيا وروسيا من تزايد الوجود الاسرائيلي في المنطقة – حيث إنهما أهم ممثلين جيوسياسيين في منطقة جنوب القوقاز – فقد تبدأ الدول الإسلامية أيضًا سياسة معادية لباكو بسبب العلاقات الوثيقة بين أذربيجان وإسرائيل.

وفي هذه الصدد، من الواضح أن القيمة التي تعطيها أذربيجان لإسرائيل لا تجد الصدى نفسه من الجانب الإسرائيلي، ففي الواقع على الرغم من أن العديد من البرلمانيين الأذربيجانيين وصفوا العلاقات مع إسرائيل بأنها استراتيجية وودية للغاية، فقد صرَّح نائب وزير الدفاع الإسرائيلي السابق «إفرايم سنيه» بوضوح بأن: «أذربيجان ليست حليفة لإسرائيل على الرغم من تتطور العلاقات».

صادر عام ٢٠٢٢ عن مركز أركان للدراسات والأبحاث والنشر
الآراء الواردة بالدراسة تعبر عن وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز، ويمنع نقل هذه الدراسة أو نسخها أو ترجمتها أو أي جزء منها إلا بإذن مسبق من المركز
info@arkan-srp.com

أركـان للدراسات والأبحاث والنشر

Arkan for Studies Research and Publishing